مجلة المرابط

العدد : ٢٠٥ الموافق في شعبان ١٤١٩ هجري ١ / ١٩٩٩ ميلادي

سنة الابتلاء –٥– : فرعون وهامان وقارون	بقلم : د. موفق الحكيم

٣- ذوو الجاه والسلطان:

إن فرعون والذي يمثل طغيان السلطة وجبروت الحاكم ، والذي كان يرتكب أبشع الجرائم ، لم يكن وحده في مواجهة موسى وهارون ، وما جاءا به من البينات ، بل كان معه زبانيته وأعوانه ومنهم هامان وزيره وقائد جنده ، المدبر لمكائده والمعين له على ظلمه وبطشه ، وكان معه قارون والذي كان من يهود قوم موسى وكان يمثل الجشع المادي والمطمع الدنيوي فبغى على موسى وقومه بثروته وعلمه ولم يستمع لنصح الناصحين بعدم البغي والفساد.

{ **وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات** } [العنكبوت :٣٩]

{ **إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب** } [غافر ٢٤]

أضف إلى ذلك الملأ من قوم فرعون الذين كان يستشيرهم ويشيرون عليه ، وكانوا أصحاب الجاه والمراكز والنفوذ من أسرته وأقاربه وأعوانه وزبانيته.

{ **وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة** } [المؤمنون ٣٣]

وهؤلاء جميعاً أي الثالوث الجبروت المتمثل في سلطة الطاغية الحاكم ، وسلطة الجشع المادي ، وسلطة الملأ من أصحاب النفوذ تجدهم في كل زمان ومكان يحاربون دعاة الحق ويواجهونهم بكل الوسائل ويقاتلوهم بكل الأساليب:

فمنها التكذيب { **قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين** } [**الأعراف:٦٠**]

ومنها التشهير { **قال الملأ الذين استكبروا من قومه إنا لنراك في سفاهة** } [الأعراف :٦٦]

{ **قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم** } [الأعراف : ١٠٩]

وقد يصل الأمر إلىحد القتل إن لم ينفع الإبعاد والسجن والتعذيب. { **قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين** } [القصص :٢٠]

وهذا ما يجب على الدعاة فهمه ووعيه ، إن أصحاب السلطة والنفوذ والمال ليسوا وحدهم في مواجهتهم ومحاربتهم بل معهم من يحاربهم في مصالحهم وأهوائهم من كبار التجار وقادة الجيوش الفاسدين المفسدين وأصحاب السلطان والهوى والمنفعة ، وعندما يتصدى دعاة الباطل لدعاة الحق ، ويتصدى أدعياء الشر لأنصار الحق والنور ، يهب لحمايتهم ونصرتهم المستغلون والمستكبرون والطغاة

والبغاة والعتاة ، والمستهزئون والمنحلون أصحاب الشهوات وأنصار الإنحلال ، وهذا الواقع قديم جديد ، عهدناه ونعهده وسوف يُشاهد في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فلقد تماثلت أساليب أصحاب الباطل قديماً وحديثاً في مهاجمة دعوة الحق والصد عنها حتى لكأن أولهم أوصى آخرهم .

{ **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أومجنون ، أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون.** } [الذاريات: ٥٢]

{ **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك** } [فصلت : ٤٢]

فهي جبلة واحدة ، وطبيعة واحدة للمكذبين في التعامل مع دعاة الحق وكأنهم تواصوا بذلك ، وما تواصوا بشيء من هذا ، إنما هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق و القصد تجمع بين الغابرين واللاحقين .

إن الباطل قديمه وحديثه يتبع نفس الأساليب في محاربة الحق وأعوانه ، معتمداً على نفس الأعوان والأنصار ، لا يتغير ذلك بتغير الزمان ولا بتبدل المكان. يقول الشهيد سيد قطب في الظلال :

« والمؤمن ذو نسب عريق ضارب في شعاب الزمان ، إنه واحد في ذلك الموكب الكريم الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم : نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام ،{ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** } [الأنبياء : ٩٢] هذا الموكب الكريم الممتد في شعاب الزمن من قديمه وحديثه ، يواجه مواقف متشابهة وأزمات وتجارب متشابهة على تطاول العصور وكثر الدهور ، وتغير المكان وتعدد الأقوام ، يواجه الضلال والعمى والطغيان والهوى والاضطهاد والبغي والتهديد والتشريد » .

وقوى الباطل مهما اختلفت مذاهبها وتعددت مشاربها ، وتنوعت أهوائها ، تلتقي دوماً وتوحد جهودها في مواجهة دعاة الحق ، ناسية ما بينها من الخلاف والخصام ، يقول الأستاذ عصام العطار حفظه الله : « إن الذي يخدم الإسلام ويلتزم خطه المتميز ويدعو الناس إليه ، ويكشف لهم الحقائق ويبين لهم الأمور ، ويأخذ بأيديهم بأمانة وصدق ، يجتمع على محاربته والكيد له أعداء الإسلام ومستغلوه معاً ، وإن افترقت بهم السبل في المجالات الأخرى ، واشتد بينهم الصدام ، لأن أعداء الإسلام يدركون أن الإسلام الحقيقي كما أنزله الله عز وجل هو وحده الذي يستطيع أن يسد عليهم الطريق ويوقع بهم الهزيمة لا إسلام الشعارات والعناوين ، ولأن مستغلي الإسلام يدركون أن انكشاف الإسلام على حقيقته للناس واستبانة خطه المتميز المستقيم وإمساك رجاله الصادقين بزمام التوجيه سيقطع عليهم طريق استغلال

الإسلام والمسلمين ، واستخدامهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. كما سيكشف انحرافهم وزيف ما يرفعونه من شعارات وعناوين » [من بقايا الايام ، ج٢ ، ص : ١١٨].

نعم ، إن الصدام لا بد واقع بين الحق والباطل ، فالباطل وضيع والحق سامٍ رفيع ، والباطل ضئيل حقير ، والحق أصيل وقدير ، وبما أن الظلام والضياء لا يجتمعان ، كذلك فإن الحق والباطل لا يتفقان.

يقول الاستاذ أحمد أمين في فيض الخاطر (ج١ ، ص:٢٠١)

« ولعل كثيراً من صفحات التاريخ المملوءة باضطهاد العظماء وقتل النبغاء، واغتيال الأبطال تستر وراءها هذا السر الكامن الخطير وهو أن الاضطهاد والقتل والإغتيال كان سببه الخفي شعور المدبرين بضعفهم أمام هؤلاء العظماء »

نعم ، إن طريق الدعوة إلى الله هو طريق الابتلاء ، وهو طريق طويل عصيب شاق ، فيه الأذى والسجن والاعتقال والتشريد ، وفيه التعذيب والنفي والتهديد ، فيه مصادرة المصالح وتعطيل الأعمال ومصادرة الأموال ، فيه تفتيش البيوت وأذى الأحبة والأهل والأقارب وأعز الناس ، وفيه القتل إن لم ينفع مع الدعاة كلما ذكر. يقول الأستاذ الحبيب عصام العطار حفظه الله : « رسم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل جيل معالم الطريق ، دماً وألماً وصبراً وجهاداً متواصلاً ويقيناً راسخاً وثقة لا حد لها بالله عز وجل وبنصره المؤكد ، ولقد كان المسلمون الأولون أفرادا في العهد المكي وجماعة على أبواب العهد المدني على بينة من هذه الحقيقة أيضاً ، سلكوا الطريق إلى الغاية التي يرخص في سبيلها كل بذل ، ووطنو النفس على مجابهة كل الدنيا والتضحية بكل ما في الدنيا ، واحتمال أقصى ما يمكن أن يُتصور في هذه الدنيا ، لا يستعجلون ولا يطلبون إلا الجنة ومرضاة الله عز وجل » . [بقايا الأيام ، ج٢].

ويقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في الظلال : « ولكن المؤمن يمضي في طريقه ثابت الخطو ، مطمئن الضمير ، واثقاً من نصر الله ، متعلقاً بالرجاء فيه ، متوقعاً كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد { **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين** ❁ **ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** }[إبراهيم:١٦-١٧]. موقف واحد وتجربة واحدة ، وتهديد واحد ، ويقين واحد ، ووعد واحد للموكب الكريم وعاقبة واحدة ينتظرها المؤمنون في نهاية المطاف.

{... **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** ...} [الصف : ١٤]